من خزانة الاقتباسات

جامعُ العلومِ والحِكَم

ابن رجب الحنبلي · ت ٧٩٥هـ

١٠٣ فائدةً مختارة · في ١٢ بابًا · بالرجوع إلى طبعة مؤسسة الرسالة

التعريفُ بالكتاب

شرحٌ لخمسين حديثًا من **جوامع الكلم**، أصلُها الأربعون النووية، زاد عليها **ابنُ رجب** عشرةً من جنسها، ثم شرحها شرحًا يتجاوز الحديثَ إلى مسائل الفقه والسلوك وأقوال السلف، حتى صار كتابًا في التزكية بقدر ما هو كتابٌ في الحديث.

وهو من أجمع ما كُتب في بابه: يُقرأ للفقه، ويُقرأ للرقائق، ويُستشهد به في المجلسين جميعًا. ولابن رجبٍ فيه نَفَسٌ خاصّ: يجمع القولَ ثم يحرّره، ولا يَدَعُ المسألةَ حتى يُبيّن ما فيها من دقائق النيّات.

من أين جاءت هذه المختارات

فوائدُ استوقفت قارئًا فدوّنها وهو يقرأ الكتاب بين **نوفمبر ٢٠١٨ وأبريل ٢٠١٩**، وصوّر بعضَ المواضع من صفحات المطبوع؛ فما تراه هنا اختيارُ قارئٍ لا استقصاءُ مُفهرِس. والنسخةُ المرجع طبعةُ **مؤسسة الرسالة** بتحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس (السابعة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، في جزأين)، وهي متاحةٌ في المكتبة الشاملة: shamela.ws/book/4268.

عن هذه المختارات

١٠٣ فائدة
مرتَّبةً على ١٢ بابًا موضوعيًّا

٢٠ صورة
من صفحات المطبوع

طبعة الرسالة
بتحقيق الأرناؤوط هي النسخة المرجع

الأبواب

١ في العلم والفتيا واتّباع السنّة ..... ١٠ فائدة
٢ في التقوى والعمل والفرائض ..... ١٢ فائدة
٣ في القلب والنيّة ومداخل العُجب ..... ٩ فائدة
٤ في اللسان والصمت ..... ٣ فائدة
٥ في حُسن الخُلق ومعاملة الناس ..... ١٢ فائدة
٦ في حقوق العباد والسِّتر ..... ٧ فائدة
٧ في الجماعة وولاة الأمر والفتن ..... ٤ فائدة
٨ في الزهد والدنيا والتوكّل ..... ٩ فائدة
٩ في الذكر والدعاء والقرآن ..... ١٢ فائدة
١٠ في المحبّة والشوق ..... ١٥ فائدة
١١ في الموت وقِصَر الأمل ..... ٤ فائدة
١٢ في الجوع والطعام ..... ٦ فائدة

١

في العلم والفتيا واتّباع السنّة

من أين يُؤخذ العلم، ومتى يُسكت عنه، وما الذي أُحدث فيه بعد القرون الأولى.

١

«فرأيت أنا أن أضمّ هذا الحديث إلى أحاديث الأربعين التي جمعها الشيخ وأن أضمّ إلى ذلك كلّه أحاديث أُخر من جوامع الكلم ... حتى تكمُل عدّة الأحاديث كلّها خمسين حديثًا ... وسمّيته: (جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم)»

٢

«قال الهيثم بن جميل: قلت لمالك: يا أبا عبدالله، الرجلُ يكون عالمًا بالسنن يُجادل عنها؟ قال: لا، ولكن يُخبر بالسنة فإن قُبِل منه وإلا سكت»

٣

«وقد كان أصحاب النبي ﷺ (أحيانًا) يسألونه عن حكم حوادث قبل وقوعها، لكن للعمل بها عند وقوعها»



وقد كان أصحابُ النبيِّ ﷺ أحياناً يسألونه عن حكم حوادثَ قبل وقوعها، لكن للعمل بها عند وقوعها، كما قالوا له: إنَّا لاقو العدوِّ غداً، وليس معنا مُدًى، أفنذبح بالقصَب؟[1] وسألوه عَنِ الأُمراءِ الَّذينَ أخبر عنهم بعدَه، وعن طاعتهم وقتالهم، وسأله حذيفةُ عن الفتنِ، وما يصنع فيها[2].

من صفحات المطبوع

٤

«واعلم أن كثرة وقوع الحوادث التي لا أصل لها في الكتاب والسنّة إنما هو من ترك الاشتغال بامتثال أوامر الله ورسوله»


واعلم أن كثرةَ وقوع الحوادث التي لا أصل لها في الكتاب والسنة إنما هو
مِنْ ترك الاشتغال بامتثالِ أوامر الله ورسوله، واجتناب نواهي الله ورسوله، فلو
أنَّ من أرادَ أن يعمل عملاً سأل عمَّا شرعه الله في ذلك العمل فامتثله، وعما نهى
عنه فاجتنبه، وقعت الحوادثُ مقيدةً بالكتاب والسنة. وإنما يعمل العاملُ
بمقتضى رأيه وهواه، فتقع الحوادثُ عامَّتُها مخالفةً لما شرعه الله وربما عسر ردُّها
إلى الأحكام المذكورةِ في الكتاب والسنة لبعدها عنها.

من صفحات المطبوع

٥

«ومما أُحدِثَ في الأمّة بعد عصر الصحابة والتابعين: الكلامُ في الحلال والحرام بمجرّد الرأي، وردٌّ كثيرٍ مما وردت به السنّة في ذلك لمخالفته للرأي والأقيسة العقلية»

المطبوع ج٢ ص١٣٣

٦

«قال الربيع بن خثيم: لِيَتّقِ أحدُكم أن يقولَ: أحلّ الله كذا، وحرّم كذا، فيقول الله: كذبتَ، لم أُحِلّ كذا ولم أُحرِّم كذا»

٧

حديث «من سلكَ طريقًا يلتمسُ فيه علمًا ...»

«وسلوكُ الطريق للتماس العلم يدخُلُ فيه سلوك الطريق الحقيقي، وهو المشي بالأقدام إلى مجالس العلماء، ويدخل فيه سلوك الطرق المعنوية المؤدية إلى حصول العلم، مثل حفظه ودراسته ومذاكرته ومطالعته وكتابته والتفهّم له»

٨

«فالأقسام ثلاثة: راشدٌ وغاوٍ وضالٌّ، فالراشد: عرف الحق واتّبعه، والغاوي: عرفه ولم يتّبعه، والضالّ: لم يعرفه بالكليّة»

٩

«يسألوني عن دم البعوض وقد قتلوا الحسين!»

وها هنا أمر ينبغي التفطنُ له وهو أن التدقيقَ في التوقف عن الشبهات إنما يَصْلُحُ لمن استقامت أحواله كلها، وتشابهت أعمالُه في التقوى والورع، فأما مَنْ يقع في انتهاك المحرَّمات الظاهرة، ثم يريد أن يتورَّعَ عن شيء من دقائق الشُّبَهِ، فإنه لا يحتمل له ذلك، بل يُنكر عليه، كما قال ابنُ عمر لمن سأله عن دم البعوض من أهل العراق: يسألوني عن دم البعوض وقد قتلُوا الحسين، وسمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «هُمَا رَيحَانَتَايَ من الدُّنيا»[1].

من صفحات المطبوع

١٠

«رُوِيَ عن عمر أنه قال على المنبر: إن أخوفَ ما أخافُ عليكم المنافقُ العليم، قالوا: كيف يكونُ المنافقُ عليمًا؟ قال: يتكلّمُ بالحكمةِ، ويعملُ بالجور»

٢

في التقوى والعمل والفرائض

أصلُ الكتاب: أن تُتّقى سخطةُ الله، وأن يُعلم أيُّ العمل أحبُّ إليه وأقربُ.

١١

«اعلم أنّك لن تُحبّ الله حتى تُحبّ طاعته»

١٢

«أعمالُ البرّ يعملُها البرّ والفاجر، وأما المعاصي فلا يتركها إلا صدّيق»

١٣

«من سَرّهُ أن يسبِقَ الدائبَ المجتهد، فليكُفّ عن الذنوب»

١٤

«فإذا أُضيفت التقوى إليه ﷻ فالمعنى: اتقوا سخطه وغضبه، وعن ذلك ينشأ عقابه الدنيوي والأخروي ... وتارةً تُضاف التقوى إلى عقاب الله وإلى مكانه: كالنار، أو إلى زمانه: كيوم القيامة»

١٥

«فإن المغفرة قد قيل: إنها سَتْرُ الذنوب، وقيل: وقاية شرّ الذنب مع ستره، ولهذا يسمّى ما ستر الرأس ووقاه في الحرب (مِغفرًا)، ولا يسمّى كلُّ ساترٍ للرأس مِغفرًا»

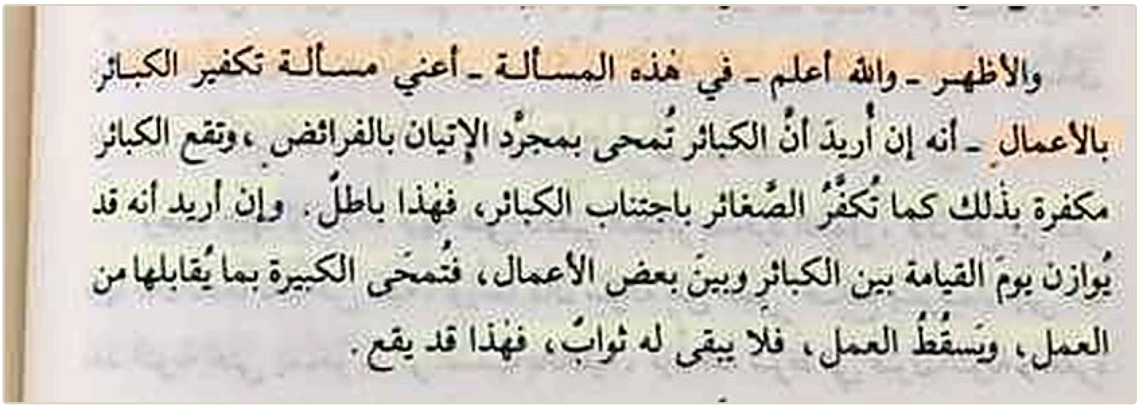
١٦

حديث «وخالِقِ النّاس بخلقٍ حسن»

«هذا من خصال التقوى، ولا تتم التقوى إلا به، وإنما أفرده بالذكر للحاجة إلى بيانه، فإن كثيراً من الناس يظنّ أن التقوى هي القيامُ بحقّ الله دون حقوق عباده»

١٧

مسألة تكفير الكبائر بالأعمال الصالحة


والأظهر ـ والله أعلم ـ في هذه المسألة ـ أعني مسألة تكفير الكبائر بالأعمال ـ أنه إن أُريدَ أنَّ الكبائر تُمحى بمجرَّد الإتيان بالفرائض، وتقع الكبائر مكفرة بذلك كما تُكفَّرُ الصَّغائر باجتناب الكبائر، فهذا باطلٌ. وإن أريد أنه قد يُوازن يومَ القيامة بين الكبائر وبينَ بعض الأعمال، فتُمحَى الكبيرة بما يُقابلها من العمل، ويَسقُطُ العمل، فلا يبقى له ثوابٌ، فهذا قد يقع.

من صفحات المطبوع

١٨

«فالمضاعفة للحسنات بعشر أمثالها لا بدّ منه، والزيادة على ذلك تكون بحسب إحسان الإسلام، وإخلاص النية، والحاجة إلى ذلك العمل وفضله»

١٩

«والصبرُ على الطاعات وعن المحرّمات أفضلُ من الصبر على الأقدار المؤلمة، صرّح بذلك السلف»

٢٠

«ويدلُّ على أن من قَدَرَ على خَصلةٍ من خصال الإيمان وفعلها، كان أفضلَ ممّن تركها عجزًا عنها»

٢١

«وأداءُ الفرائض أفضلُ الأعمال»

٢٢

«إن الدين كله خُلُق»



من صفحات المطبوع

٣

في القلب والنيّة ومداخل العُجب

ما لا يطّلع عليه إلا الله: مَدخلُ العُجب، ومَخرجُ الإخلاص، وحياءُ العبد من نظر ربّه.

٢٣

حديث «استفتِ قلبَك، البِرُّ ما اطمأنّت إليه النفسُ واطمأنّ إليه القلب، والإثمُ ما حاك في النفس وتردّد في الصدر، وإن أفتاك الناسُ وأفتَوْك»



من صفحات المطبوع

٢٤

«...أن خالد بن الوليد استأذن النبي ﷺ في قتل رجل، فقال ﷺ: لا لعله أن يكون يصلّي. فقال خالد: وكم من مصلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه، فقال رسول الله ﷺ: إنّي لم أومر أن أُنَقّبَ عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم»

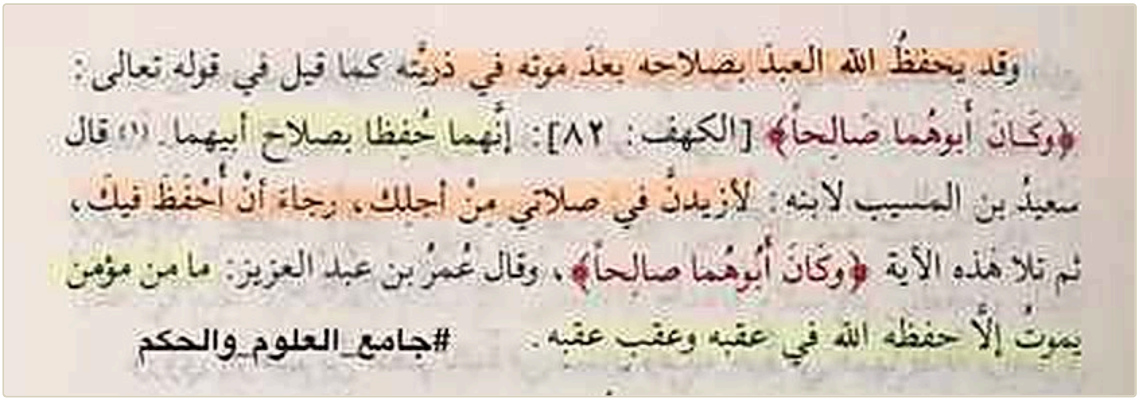
٢٥

أو يكون للأمر بفعل ما يشاء:

«أمرٌ بفعل ما يشاء على ظاهر لفظه (إذا كان الذي تريد فعله مما لا يُستحيى من فعله ... فاصنع منه حينئذٍ ما شئت)»

٢٦

«لأزيدنّ في صلاتي من أجلك»



من صفحات المطبوع

٢٧

«...ففسر الزهد في الدنيا بثلاثة أشياء كلُّها من أعمال القلوب، لا من أعمال الجوارح، ولهذا كان أبو سليمان يقول: لا تشهد لأحدٍ بالزّهد، فإن الزّهد في القلب»

٢٨

«إن الله يقول: إن من عبادي من يسألني بابًا من العبادة، فأكُفّه عنه كيلا يَدخلَهُ العُجب»

٢٩

«وخوفُك من الرّيح إذا حرّكت سترَ بابك وأنت على الذّنب، ولا يضطربُ فؤادُك من نظر الله إليك، أعظمُ من الذنب إذا عملته»

٣٠

«واعلم أن جميعَ المعاصي محاربةٌ لله عزّ وجل ... لكن كلّما كان الذنبُ أقبح، كان أشدّ محاربةً لله»

٣١

«وقد تُضاعفُ السيئاتُ بشرفِ فاعلها»

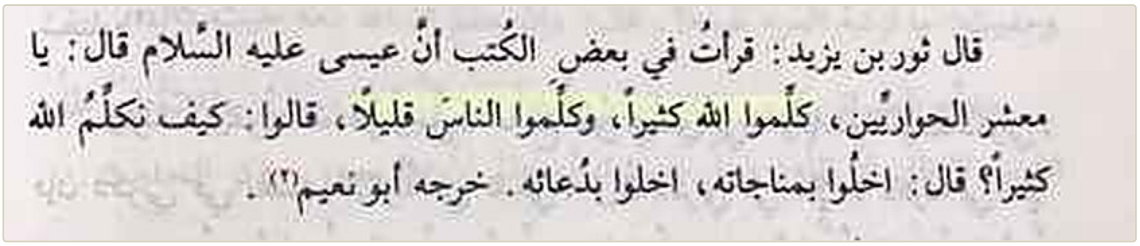
٤

في اللسان والصمت

بابٌ قصير على قِصَره ثقيل: أن يكون لسانُ المرء منه على بال.

٣٢

«قال عيسى عليه السلام: يا معشر الحواريين كلِّموا الله كثيرًا، وكلّموا الناسَ قليلًا»


قال ثور بن يزيد: قرأتُ في بعضِ الكُتب أنَّ عيسى عليه السَّلام قال: يا معشر الحواريِّين، كلِّموا الله كثيراً، وكلِّموا الناسَ قليلاً، قالوا: كيف نكلِّمُ الله كثيراً؟ قال: اخلُوا بمناجاته، اخلوا بدُعائه. خرجه أبو نعيم(٢).

من صفحات المطبوع

٣٣

«عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال: من صمت نجا»

٣٤

«قال يونس بن عبيد: ما رأيتُ أحدًا لسانه منه على بالٍ إلا رأيتُ ذلك صلاحًا في سائر عمله»

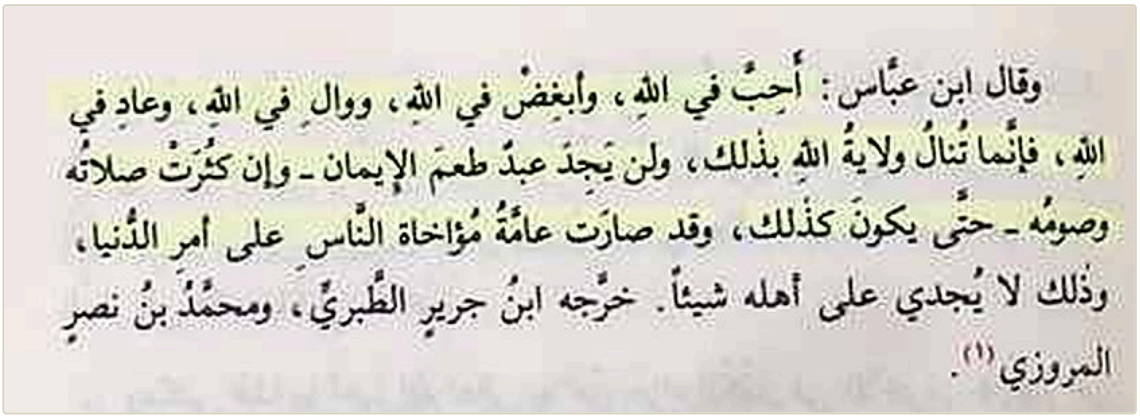
٥

في حُسن الخُلق ومعاملة الناس

الغضب والحياء والرحمة والضيافة والجار، وما كان عليه النبيّ ﷺ في ذلك كلّه.

٣٥

«"وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا" ابن عباس -رضي الله عنه-»



وقال ابن عبَّاس: أَحِبَّ في اللهِ، وأبغِضْ في اللهِ، ووالِ في اللهِ، وعادِ في اللهِ، فإنَّما تُنالُ ولايةُ اللهِ بذلك، ولن يَجِدَ عبدٌ طعمَ الإيمان - وإن كثُرَتْ صلاتُه وصومُه - حتَّى يكونَ كذلك، وقد صارَت عامَّةُ مُؤاخاة النَّاسِ على أمرِ الدُّنيا، وذلك لا يُجدي على أهله شيئاً. خرَّجه ابنُ جريرٍ الطَّبريُّ، ومحمَّدُ بنُ نصرٍ المروزي[1].

من صفحات المطبوع

٣٦

«أحبّ عباد الله إلى الله: الذين يحببون الله إلى عباده ويحبّبون عباد الله إلى الله»



وقال الحسن: إنَّك لن تَبْلُغ حقَّ نصيحتك لأخيك حتى تأمره بما تَعْجِزُ عنه. قال الحسن: وقال بعضُ أصحاب النبيِّ ﷺ: والذي نفسي بيده إن شئتم لأقسمنَّ لكم بالله إن أحبَّ عبادِ الله إلى الله الذين يُحببون الله إلى عباده ويُحببون عباد الله إلى الله، ويسعون في الأرض بالنصيحة.

من صفحات المطبوع

٣٧

«وفي المسند عن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ قال: أول خصمين يوم القيامة جاران»

٣٨

حديث «الضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ ، وَجَائِزَتُهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ»

«وظنّ بعض الناس أن الضيافة ثلاثة أيام بعد اليوم والليلة، وردّه أحمد بقوله ﷺ: الضيافة ثلاثة أيام فما زاد فهو صدقة. ولو كان كما ظنّ هذا، لكان أربعة»

«ولصاحب المنزل أن يأمر الضيف بالتحوّل عنه بعد ثلاث، لأنه قضى ما عليه، وفعل ذلك الإمام أحمد»

٣٩

«قال رسول الله ﷺ: إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خُلِق من النار، وإنما تُطفأُ النار بالماء، فإذا غَضِب أحدُكُم فليتوضأ»

المطبوع ج١ ص٣٦٦

٤٠

«وكان ﷺ لشدّة حيائه لا يُواجه أحدًا بما يكره، بل تُعرف الكراهةُ في وجهه»

المطبوع ج١ ص٣٧٠

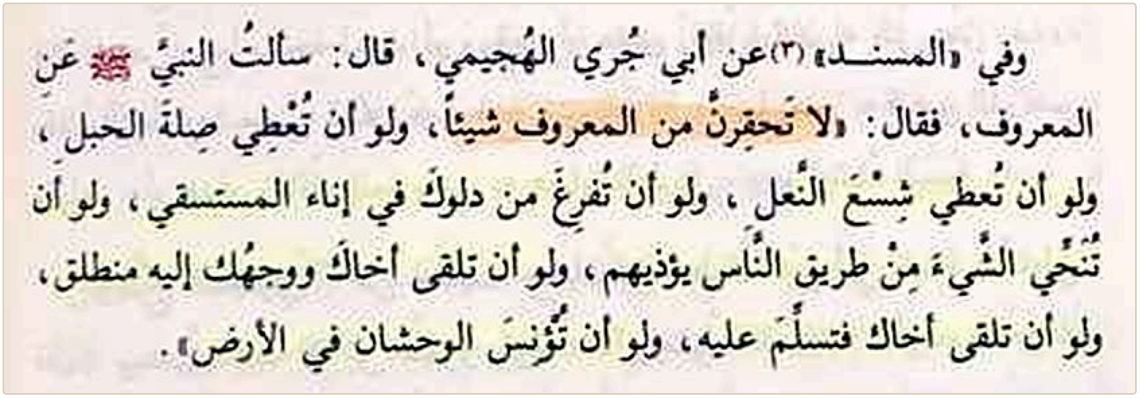
٤١

«".. أن رجلًا قال للنبي ﷺ: يا رسول الله إني لأذبح الشاة وأنا أرحمها، فقال النبي ﷺ: والشاة إن رحمتها رحِمك الله" رواه أحمد.»

المطبوع ج١ ص٣٩٣

٤٢

«لا تحقرنّ من المعروف شيئًا»



وفي «المسند»(٣) عن أبي جُري الهُجيمي، قال: سألتُ النبيَّ ﷺ عن المعروف، فقال: «لا تحقِرَنَّ من المعروف شيئاً، ولو أن تُعطِي صِلةَ الحبل، ولو أن تُعطي شِسْعَ النَّعل، ولو أن تُفرِغَ من دلوكَ في إناء المستسقي، ولو أن تُنَحِّي الشَّيءَ مِنْ طريق النَّاس يؤذيهم، ولو أن تلقى أخاكَ ووجهُك إليه منطلق، ولو أن تلقى أخاك فتسلِّمَ عليه، ولو أن تُؤنِسَ الوحشان في الأرض».

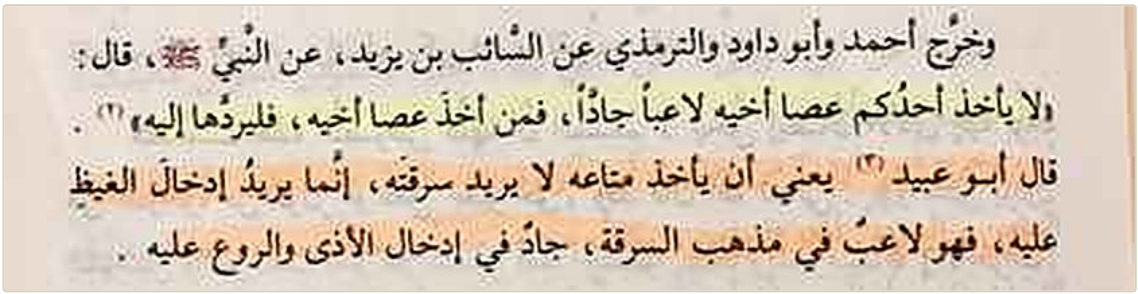
من صفحات المطبوع

٤٣

«قال جابر: كان النبي ﷺ إذا أتاه الوحي أو وَعَظَ، قلت: نذير قومٍ أتاهم العذاب، فإذا ذهب عنه ذلك، رأيت أطلق الناس وجهًا، وأكثرهُم ضحكًا، وأحسنهم بِشرًا ﷺ»

٤٤

حديث «"لا يأخذ أحدكم عصا أخيه لاعبًا جادًّا، فمن أخذَ عصا أخيه، فليردّها إليه"»



وخرَّج أحمد وأبو داود والترمذي عن السَّائب بن يزيد، عن النَّبيِّ ﷺ، قال: «لا يأخذ أحدُكم عصا أخيه لاعباً جاداً، فمن أخذ عصا أخيه، فليردُّها إليه»[1].
قال أبو عبيد[2] يعني أن يأخذ متاعه لا يريد سرقته، إنَّما يريدُ إدخالَ الغيظ عليه، فهو لاعبٌ في مذهب السرقة، جادٌ في إدخال الأذى والروع عليه.

من صفحات المطبوع

٤٥

«وإنما كانوا يقومون بالحِلاب، لأنّ العربَ كانت لا تَحلُبُ النّساءُ منهم، وكانوا يستقبحون ذلك، فكان الرّجال إذا غابوا، احتاج النّساءُ إلى من يحلُبُ لهن»

٤٦

«قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: " لا يَعِدْ أَحَدُكُم صَبِيَّه ثم لا يُنجِزُ له"»

٦

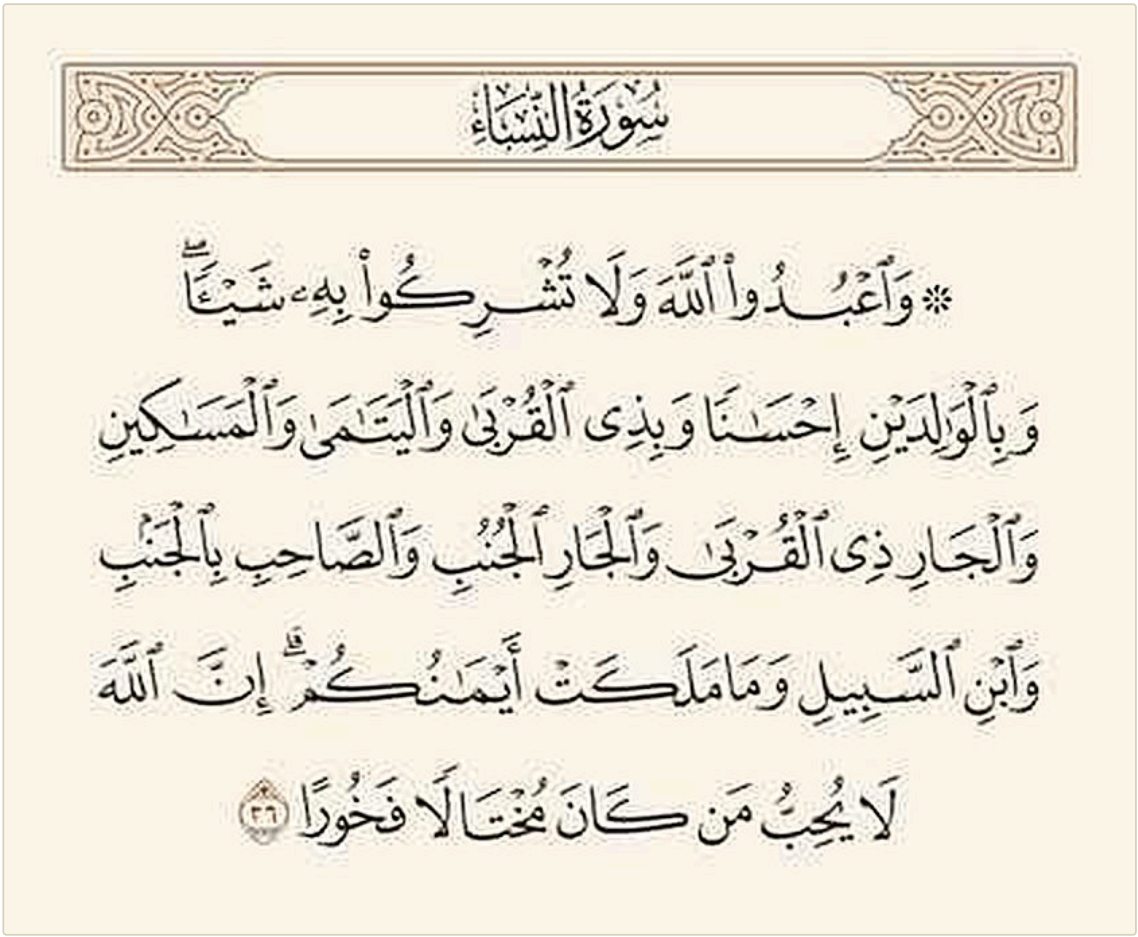
في حقوق العباد والسِّتر

الجمعُ بين حقّ الله وحقّ عباده عزيزٌ؛ وفي السِّتر على المسلم ما ليس في كشفه.

٤٧

آية ﴿...وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا﴾ [النساء: ٣٦]

«وأدخل بعضُ السلف في هذه الآية: ما يملكُهُ الإنسانُ من الحيوانات والبهائم»



من صفحات المطبوع

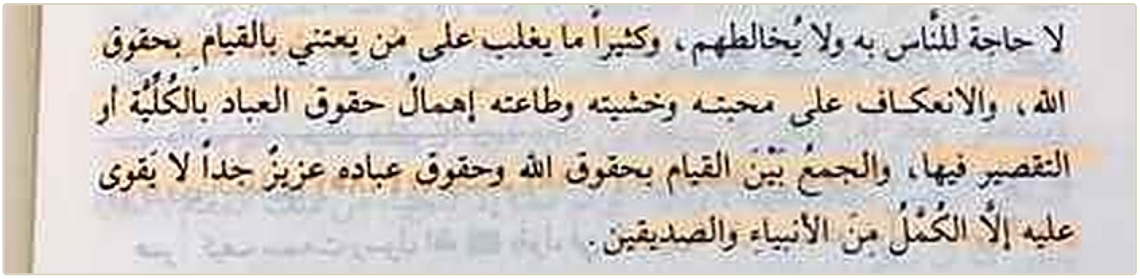
٤٨

آية ﴿والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون﴾ [سورة الشورى]

«فليس منافيًا للعفو، فإن الانتصار يكون بإظهار القدرة على الانتقام، ثم يقعُ العفو بعد ذلك، فيكون أتمّ وأكمل. قال النخعي: كانوا يكرهون أن يُستذلّوا، فإذا قَدَروا عَفَوا»

٤٩

«وكثيرًا ما يَغلبُ على من يعتني بالقيام بحقوق الله ... إهمالُ حقوق العباد بالكليّة أو التقصير فيها، والجمع بين القيام بحقوق الله وحقوق عباده عزيزٌ جدًّا لا يقوى عليه إلا الكُمّل»


لا حاجة للنّاس به ولا يُخالطهم، وكثيراً ما يغلب على من يعتني بالقيام بحقوق الله، والانعكاف على محبته وخشيته وطاعته إهمالُ حقوق العباد بالكُلّيّة أو التقصير فيها، والجمعُ بيْنَ القيام بحقوق الله وحقوق عباده عزيزٌ جداً لا يقوى عليه إلّا الكُمّلُ منَ الأنبياء والصديقين.

من صفحات المطبوع

٥٠

آية ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾

[سورة النور]

«والمراد: إشاعة الفاحشة على المؤمن المستتر فيما وقع منه، أو اتُّهِمَ به وهو بريءٌ منه، كما في قصّة الإفك»

٥١

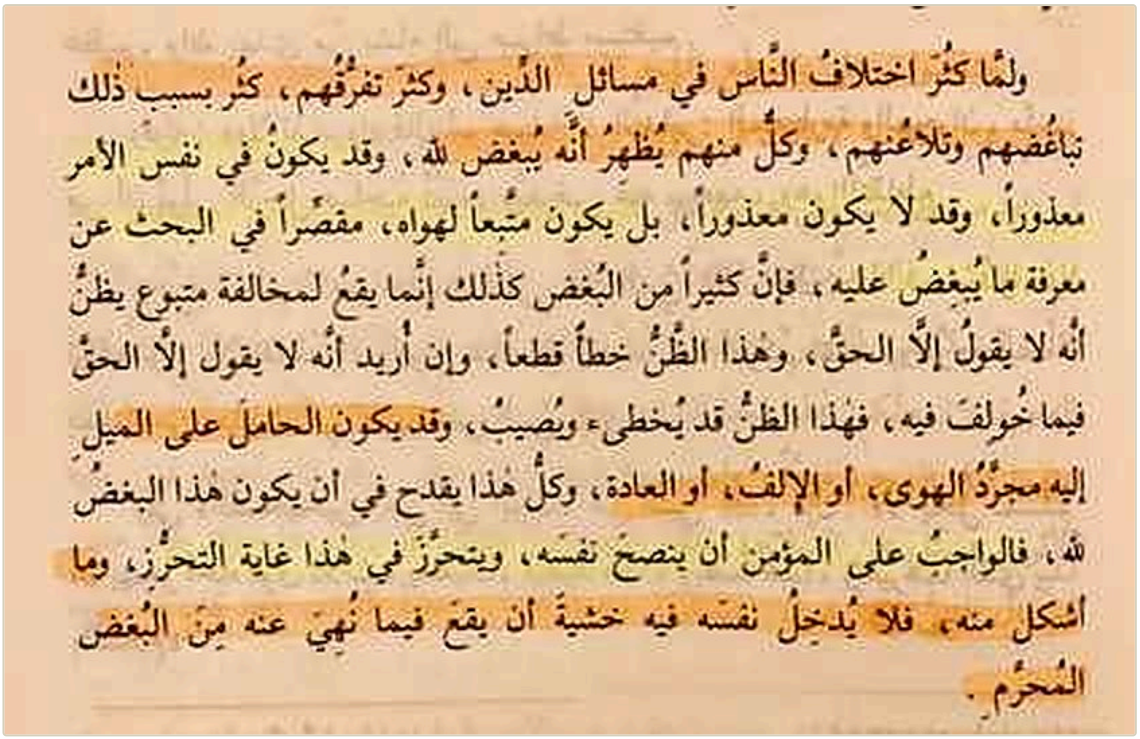
«قال بعض الوزراء الصالحين لبعض من يأمر بالمعروف: اجتهد أن تستُرَ العُصاة، فإنّ ظهورَ معاصيهم عيبٌ في أهل الإسلام، وأولى الأمور ستر العيوب»

٥٢

«وأمّا البُغضُ في الله فهو من أوثقِ عُرى الإيمان، وليس داخلًا في النهي»

٥٣

«وكلٌّ منهم يُظهِرُ أنّهُ يُبغِضُ لله»



ولمَّا كثُرَ اختلافُ النَّاس في مسائلِ الدِّين، وكثرَ تفرُّقُهم، كثُر بسببِ ذلك تباغُضهم وتلاعُنهم، وكلٌّ منهم يُظهِرُ أنَّه يُبغض لله، وقد يكونُ في نفس الأمر معذوراً، وقد لا يكون معذوراً، بل يكون متَّبعاً لهواه، مقصِّراً في البحث عن معرفة ما يُبغِضُ عليه، فإنَّ كثيراً من البُغض كذلك إنَّما يقعُ لمخالفة متبوع يظنُّ أنَّه لا يقولُ إلَّا الحقَّ، وهذا الظَّنُّ خطأٌ قطعاً، وإن أُريد أنَّه لا يقول إلَّا الحقَّ فيما خُولِفَ فيه، فهذا الظنُّ قد يُخطىء ويُصيبُ، وقد يكون الحاملُ على الميلِ إليه مجرَّدُ الهوى، أو الإلفُ، أو العادة، وكلُّ هذا يقدح في أن يكون هذا البغضُ لله، فالواجبُ على المؤمن أن ينصحَ نفسَه، ويتحرَّزَ في هذا غاية التحرُّز، وما أشكل منه، فلا يُدخِلُ نفسَه فيه خشيةَ أن يقعَ فيما نُهِيَ عنه مِنَ البُغض المُحرَّم.

من صفحات المطبوع

٧

في الجماعة وولاة الأمر والفتن

ما تقوم به مصالحُ الناس، وما يُصنع عند المنكر الذي لا يُستطاع تغييرُه.

٥٤

«ومع هذا فلابد في الأمة من عالمٍ يُوافق قوله الحق، فيكون هو العالم بهذا الحكم وغيرُه يكون الأمر مشتبهًا عليه ولا يكون عالمًا بهذا، فإن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة»

٥٥

«فإنهُ إذا رأَسَ الناس من كان فقيرًا عائلًا فصار ملكًا على الناس -سواءً كان مُلكه عامًا أو خاصًا في بعض الأشياء- فإنه لا يكاد يُعطي الناس حقوقهم، بل يستأثر عليهم بما استولى عليه من المال»

٥٦

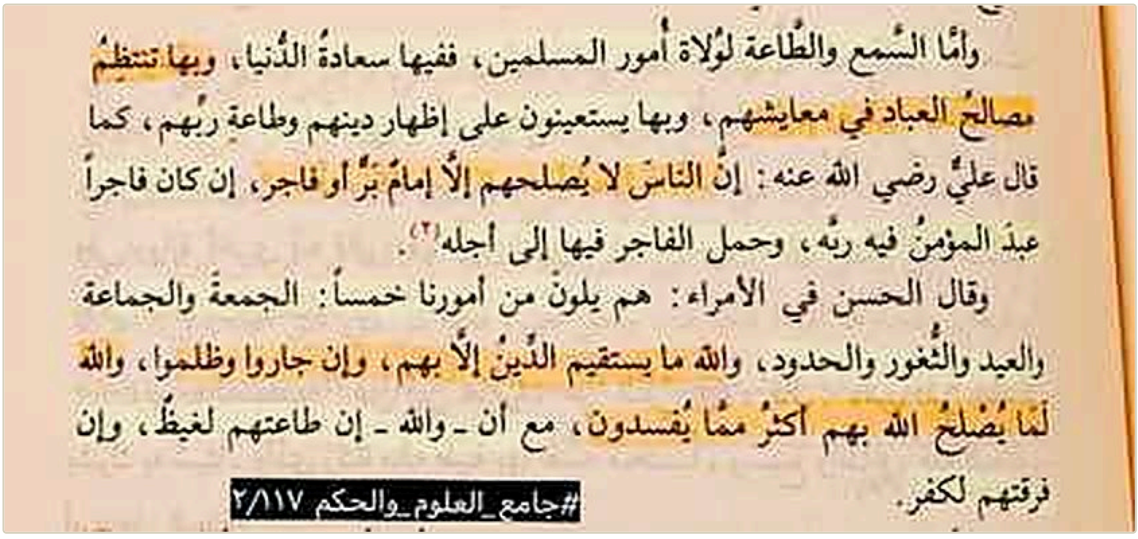
«قال ابن مسعود: يُوشِكُ من عاش منكم أن يرى منكرًا لا يستطيعُ له غيرَ أن يعلمَ الله من قلبه أنّهُ له كاره»

٥٧

«قال عليٌّ رضي الله عنه: إنّ الناسَ لا يُصلحهم إلا إمامٌ برٌّ أو فاجر»

«وقال الحسنُ في الأمراء: هم يَلُونَ من أمورنا خمسًا: الجمعةَ والجماعةَ والعيدَ والثُّغورَ والحدود»

المطبوع ج٢ ص١١٧


وأمَّا السَّمع والطَّاعة لوُلاة أمور المسلمين، ففيها سعادةُ الدُّنيا، وبها تنتظمُ مصالحُ العباد في معايشهم، وبها يستعينون على إظهار دينهم وطاعة ربِّهم، كما قال عليٌّ رضي الله عنه: إنَّ الناسَ لا يُصلحهم إلَّا إمامٌ برٌّ أو فاجر، إن كان فاجراً عبدَ المؤمنُ فيه ربَّه، وحمل الفاجر فيها إلى أجله[٢].
وقال الحسن في الأمراء: هم يلونَ من أمورنا خمساً: الجمعةَ والجماعة والعيد والثُّغور والحدود، والله ما يستقيم الدِّينُ إلَّا بهم، وإن جاروا وظلموا، والله لَمَا يُصْلِحُ الله بهم أكثرُ ممَّا يُفسدون، مع أن ـ والله ـ إن طاعتهم لغيظٌ، وإن فرقتهم لكفر.
#جامع_العلوم_والحكم ٢/١١٧

من صفحات المطبوع — ٢/١١٧

٨

في الزهد والدنيا والتوكّل

المؤمن في الدنيا كالأسير، وفي التوكّل سعيٌ يسير لا تركُ السعي.

٥٨

«قال الحسن: المؤمن في الدنيا كالأسير، يسعى في فكاك رقبته، لا يأمن شيئًا حتى يلقى الله عزّ وجلّ»

المطبوع ج٢ ص٣٠

٥٩

«"وقد روي عن النبي ﷺ أنه فسّر ذلك بأن المؤمنين يُجازون بسيئاتهم في الدنيا، وتُدّخر لهم حسناتهم في الآخرة، فيُوفّون أجورها.»

«وأما الكافر فإنه يُعجّل له في الدنيا ثواب حسناته، وتُدّخرُ له سيئاته، فيُعاقبُ بها في الآخرة"»

المطبوع ج٢ ص٥٢

٦٠

«...كان من دعائهم: اللهم زهِّدنا في الدنيا، ووسّع علينا منها، ولا تزوِها عنا، فترغِّبنا فيها»

٦١

«وقال عون بن عبدالله: الدنيا والآخرة في القلب ككفّتي الميزان بقدْرِ ما ترجح إحداهما تخِفُّ الأخرى»

٦٢

«فمن أعرضَ عن الله، فما لهُ من الله بَدَلٌ، ولله منهُ أبدال»

٦٣

«لمّا خُلِق آدم أُسكِن هو وزوجته الجنة، ثم أُهبطا منها، ووُعدا الرجوع إليها، وصالح ذريّتهما، فالمؤمن أبدًا يَحِنُّ إلى وطنه الأوّل»

٦٤

«فلو حقّقوا التوكّل على الله بقلوبهم، لساقَ الله إليهم أرزاقهم مع أدنى سبب، كما يسوقُ إلى الطير أرزاقها بمجرّد الغدوّ والرواح، وهو نوعٌ من الطلب والسّعي، لكنه سعيٌ يسير»

٦٥

«هذه طيرُ السماء تغدو وتروح ليس معها من أرزاقها شيء، لا تحرث ولا تحصد، الله يرزقها»

٦٦

«وظاهر كلام أحمد أن الكسبَ أفضلُ بكلّ حال، فإنّه سُئِل عمّن يقعُدُ ولا يكتسبُ ويقول: توكّلتُ على الله، فقال: ينبغي للناس كلهم يتوكلون على الله، ولكن يعودون على أنفسهم بالكسب»

٩

في الذكر والدعاء والقرآن

ما بينك وبين الله ليس فيه تَرجُمان، وأحبُّ ما تُقرِّب به إليه كلامُه.

٦٧

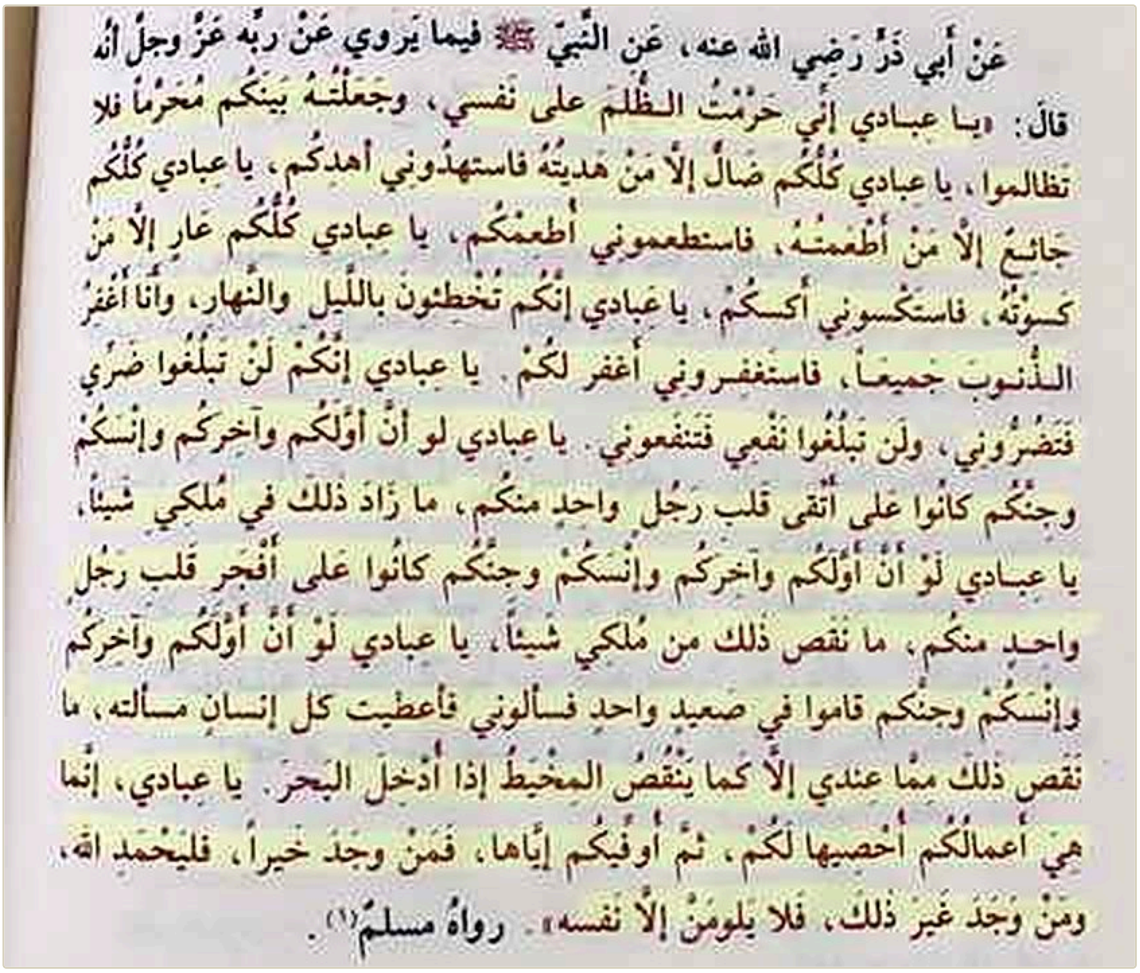
«قال بكر المزني: من مثلك يا ابن آدم: خُلِّي بينك وبين المحراب والماء، كلما شئت دخلتَ على الله ﷻ ليس بينك وبينه تَرجُمان»

٦٨

«توكّل على الله حتى يكون جليسك وأنيسك وموضع شكواك»

٦٩

أشرف حديثٍ لأهل الشام..

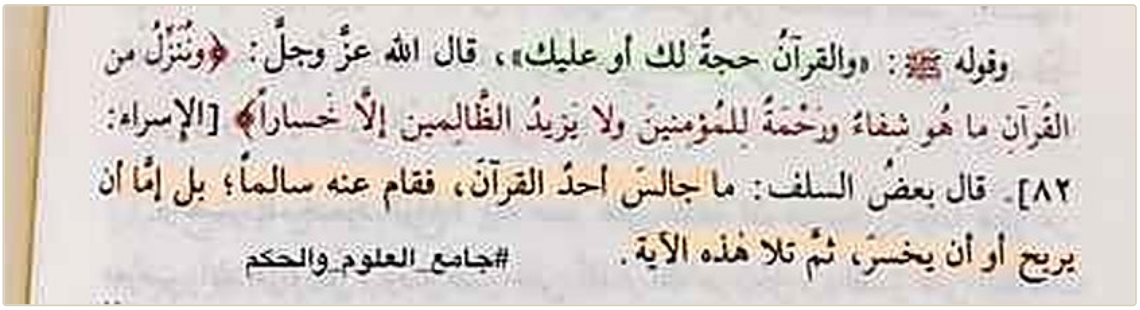


عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فيما يَروي عَنْ رَبِّه عَزَّ وجلَّ أنَّه قالَ: «يا عبادي إنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ على نفسي، وجَعَلْتُهُ بَينَكُم مُحَرَّماً فلا تَظالموا، يا عبادي كُلُّكُم ضالٌّ إلَّا مَنْ هَديتُهُ فاستهدُوني أهدِكُم، يا عبادي كُلُّكُم جائِعٌ إلَّا مَنْ أَطْعَمتُهُ، فاستطعموني أُطعِمْكُم، يا عِبادي كُلُّكُم عارٍ إلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فاستَكسوني أكسُكُمْ، يا عِبادي إنَّكُم تُخْطِئونَ باللَّيلِ والنَّهارِ، وأنَا أَغْفِرُ الذُّنوبَ جميعاً، فاستغفروني أغفِر لكُمْ. يا عِبادي إنَّكُمْ لَنْ تَبلُغوا ضُرِّي فَتَضُرُّوني، ولَن تَبلُغوا نَفْعِي فَتَنفَعوني. يا عِبادي لو أنَّ أوَّلَكُم وآخِرَكُم وإنْسَكُمْ وجِنَّكُم كانُوا على أتْقَى قَلبِ رَجُلٍ واحِدٍ منكُم، ما زَادَ ذلكَ في مُلكِي شَيئاً، يا عِبادي لَوْ أنَّ أوَّلَكُم وآخِرَكُم وإنْسَكُمْ وجِنَّكُم كانُوا على أَفْجَرِ قَلبِ رَجُلٍ واحِدٍ منكُم، ما نَقَصَ ذلكَ من مُلكِي شَيئاً، يا عِبادي لَوْ أنَّ أوَّلَكُم وآخِرَكُم وإنْسَكُمْ وجِنَّكُم قامُوا في صَعيدٍ واحِدٍ فسألوني فأعطيتُ كلَّ إنسانٍ مسألتَه، ما نَقَصَ ذلكَ ممَّا عِندي إلَّا كما يَنقُصُ المِخْيَطُ إذا أُدخِلَ البَحرَ. يا عِبادي، إنَّما هِيَ أعمالُكُم أُحْصِيها لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُم إيَّاها، فَمَنْ وَجَدَ خَيراً، فَلْيَحْمَدِ اللهَ، ومَنْ وَجَدَ غَيرَ ذلكَ، فَلا يَلومَنَّ إلَّا نَفْسَه». رواهُ مسلمٌ[1].

من صفحات المطبوع

٧٠

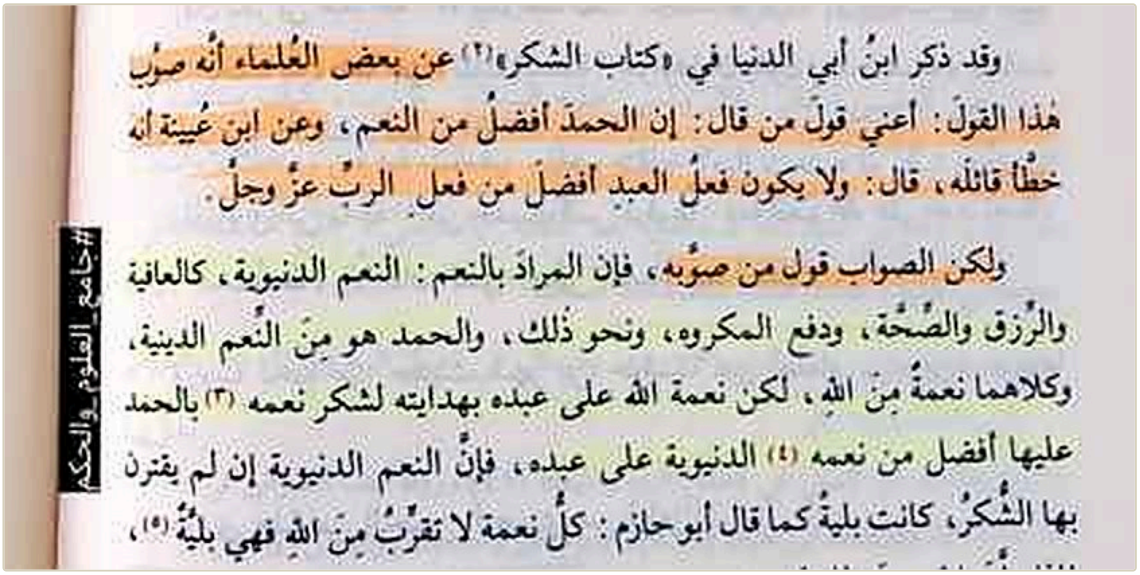
«ما جالسَ أحدٌ القرآن فقام عنه سالمًا، بل إمّا أن يربح أو أن يخسر»


وقوله ﷺ: «والقرآنُ حجةٌ لك أو عليك»، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَنُنَزِّلُ من القرآنِ ما هُو شفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنينَ ولا يزيدُ الظَّالمين إلَّا خساراً﴾ [الإسراء: ٨٢]. قال بعضُ السلف: ما جالسَ أحدُ القرآنَ، فقام عنه سالماً؛ بل إمَّا أن يربح أو أن يخسرَ، ثمَّ تلا هذه الآية.
#جامع_العلوم_والحكم

من صفحات المطبوع

٧١

أيهما أفضل: النعمة أم شكرها؟


وقد ذكر ابنُ أبي الدنيا في «كتاب الشكر»[٢] عن بعض العُلماء أنَّه صوَّب هذا القولَ: أعني قولَ من قال: إن الحمدَ أفضلُ من النعم، وعن ابن عُيينة أنه خطَّأ قائلَه، قال: ولا يكون فعلُ العبدِ أفضلَ من فعلِ الربِّ عزَّ وجلَّ.

ولكن الصواب قول من صوَّبه، فإن المرادَ بالنعم: النعم الدنيوية، كالعافية والرِّزق والصِّحَّة، ودفع المكروه، ونحو ذلك، والحمد هو مِنَ النِّعم الدينية، وكلاهما نعمةٌ مِنَ اللهِ، لكن نعمة الله على عبده بهدايته لشكر نعمه[٣] بالحمد عليها أفضل من نعمه[٤] الدنيوية على عبده، فإنَّ النعم الدنيوية إن لم يقترن بها الشُّكرُ، كانت بليةً كما قال أبو حازم: كلُّ نعمة لا تقرِّبُ مِنَ اللهِ فهي بليَّةٌ[٥]،
#جامع_العلوم_والحكم

من صفحات المطبوع

٧٢

«فالتسبيح دون التحميد في الفضل ... وسبب ذلك أن التحميد إثباتُ المحامد كلّها لله ... والتسبيح هو تنزيه الله عن النقائص، والإثباتُ أكملُ من السلب»

٧٣

«وأفضَلُ أهل العبادات أكثرُهم ذكرًا لله فيها»

٧٤

«تَقَرَّب إلى الله ما استطعت، واعلم أنّك لن تتقرب إليه بشيءٍ هو أحبّ إليه من كلامه»

٧٥

«لا شيءَ عند المحبّين أحلى من كلام محبوبهم، فهو لذّةُ قلوبهم، وغايةُ مطلوبهم»

٧٦

«وأكثَرُ من كان مُجابَ الدّعوةِ من السّلف كان يصبِرُ على البلاء، ويختارُ ثوابه، ولا يدعو لنفسه بالفرجِ منه»

٧٧

«وكثيراً ما يُقرن الاستغفارُ بذكر التوبة، فيكون الاستغفارُ حينئذٍ عبارةً عن طلب المغفرة باللسان، والتوبةُ عبارةٌ عن الإقلاع عن الذنوب بالقلوب والجوارح»

٧٨

«وكان بعضهم يقول: استغفارُنا هذا يحتاجُ إلى استغفارٍ كثير»

١٠

في المحبّة والشوق

أكثرُ ما في هذا الباب أبياتٌ أوردها ابنُ رجب في شرح حديث الوليّ؛ وهي من ألطف ما في الكتاب.

٧٩

«فإن من تمامِ المحبّةِ مُجاهدةُ أعداءِ المحبوب»

٨٠

آية ﴿ولا يخافونَ لَومَةَ لائم﴾

«لا هَمَّ للمحبّ غير ما يُرضي حبيبه، رضيَ من رضي، وسَخِطَ من سخط، من خاف الملامةَ في هوى من يُحِبُّه، فليسَ بصادقٍ في المحبّة»

٨١

وَقَفَ الهوى بي حيثُ أنتِ فليسَ لي ... مُتَأَخّرٌ عنه ولا مُتَقَدّمُ

أجِدُ الملامَةَ في هَواكِ لذيذةً ... حُبًّا لذكرِكِ فليلُمْني اللُّوّمُ

٨٢

آية ﴿والله واسعٌ عليم﴾

«واسعُ العطاء، عليمٌ بمن يستحقُّ الفضل فيمنحه، ومن لا يستحقُّه فيمنعه»

٨٣

قالوا: تشاغَلَ عنّا واصطفى بدلًا ... منّا وذلك فعلُ الخائنِ السّالي

وكيفَ أشغلُ قلبي عن محبّتِكُم ... بغيرِ ذكركُمُ يا كُلّ أشغالي

٨٤

ولو قُلتَ لي: مُت. مُتُّ سمعًا وطاعةً ... وقُلتُ لداعي الموت: أهلًا ومرحبا

٨٥

أخذتَ قلبي وغَمضَ عيني ... سَلَبتني النّومَ والهُجوعا

فَذَرْ فؤادي وخُذ رُقادي ... فقال: لا بل هما جميعا

٨٦

غصّني الشوقُ إليهم بريقي ... فَوَا حريقي في الهوى واحريقي
قد رَمَاني الحُبُّ في لُجّ بحرٍ ... فخُذوا بالله كفّ الغريقِ

٨٧

لهَا أحاديثُ من ذكراكَ تشغَلُها ... عن الشّرابِ وتُلهِيهَا عن الزّادِ
لها بوجهكَ نورٌ تستضيءُ به ... وقتَ المسيرِ وفي أعقابِها حادي
إذا اشتكتْ من كلالِ السيرِ أَوْعَدها ... روحُ القدومِ فتحيى عندَ ميعادِ

٨٨

وإنّي لتَعروني لذكراكَ هزّةٌ ... كما انتفَضَ العُصفورُ بَلّلَهُ القَطْرُ

٨٩

إذا تذكرّتُ من أنتم وكيف أنا ... أجلَلتُ مِثلَكُمُ يَخطُرْ على بالي

٩٠

«قال ذو النون: ما طابتِ الدّنيا إلا بذكره، ولا طابت الآخرةُ إلا بعفوه، ولا طابت الجنّةُ إلا برؤيته»

٩١

أبدًا نفوسُ الطالبيـ ... ـن إلى طُلولكمُ تَحِنُّ
وكذا القلوبُ بذكرِكُم ... بعد المخافةِ تطمئنّ
جُنّتْ بحبّكُمُ ومنْ ... يَهوى الحبيبَ ولا يُجَنُّ؟
بحياتكم يا سادتي ... جودوا بوصلِكُمُ ومُنُّوا

٩٢

وقد شَرَطتُ على قومٍ صَحِبتُهُمُ ... بأنّ قلبي لكم من دونهم فَرَضُوا
ومن حديثي بكم قالوا: به مرضٌ ... فقلتُ: لا زالَ عنّي ذلك المَرَضُ

٩٣

كتَمتُ اسمَ الحبيبِ من العبادِ ... وَرَدّدتُ الصّبابةَ في فؤادي
فواشوقًا إلى بلدٍ خَلِيٍّ ... لَعلّي باسمِ من أهوى أُنادي

(١١)

في الموت وقِصَر الأمل

أعظمُ الآلام التي تُصيب العبد في الدنيا، وآخرُ ما يُكفّر به عن المؤمن.

٩٤

«والموت: هو مفارقةُ الروح للجسد، ولا يَحصُلُ ذلك إلا بألمٍ عظيم جدًّا، وهو أعظمُ الآلام التي تُصيبُ العبدَ في الدّنيا»

٩٥

«كما قال عمر بن عبدالعزيز: ما أُحِبُّ أن تُهَوِّنَ عليّ سكراتُ الموت، إنّهُ لآخرُ ما يُكفّرُ به عن المؤمن»

٩٦

وما أقبَحَ التّفريطَ في زمنِ الصِّبا ... فكيف به والشّيبُ للرأس شاملُ

ترحّل من الدّنيا بزادٍ من التّقى ... فعُمرُكَ أيامٌ وهُنّ قلائلُ

٩٧

ولا تُرجِ فعل الخير يومًا إلى غدٍ ... لعلّ غدًا يأتي وأنتَ فقيدُ

(١٢)

في الجوع والطعام

خاتمةُ المختارات: ما قيل في البِطنة، ولِمَ لا تسكن الحكمةُ معدةً ملأى.

٩٨

«وعن أبي سليمان الداراني قال: إذا أردتَ حاجةً من حوائجِ الدُّنيا والآخرة، فلا تأكل حتى تقضيها، فإن الأكلَ يُغيّر العقل»

٩٩

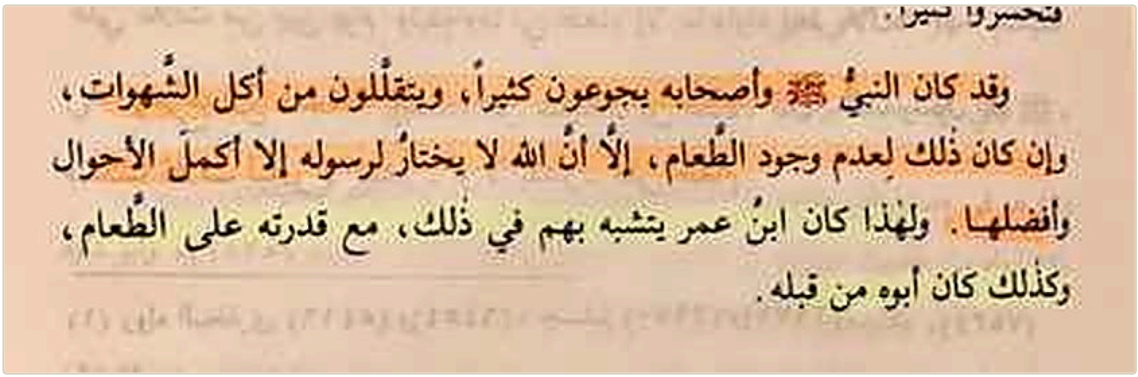
«إن كان الرجلُ ليُعيّرُ بالبِطنةِ كما يُعيّرُ بالذنب يعملُه»

١٠٠

«وإن معصيةَ الله بعيدةٌ من الجائع، قريبةٌ من الشبعان»

١٠١

«وقد كان النبي ﷺ وأصحابه يجوعون كثيراً»



وقد كان النبيُّ ﷺ وأصحابه يجوعون كثيراً، ويتقلَّلون من أكل الشَّهوات، وإن كان ذلك لِعدم وجود الطَّعام، إلَّا أنَّ الله لا يختارُ لرسوله إلا أكملَ الأحوال وأفضلها. ولهذا كان ابنُ عمر يتشبه بهم في ذلك، مع قدرته على الطَّعام، وكذلك كان أبوه من قبله.

من صفحات المطبوع

١٠٢

«وكان يُقال: لا تسكُنُ الحكمةُ معدةً ملأى»

١٠٣

«وقال غيره: لو قيلَ لأهلِ القبور: ما كان سببُ آجالكم؟ قالوا: التُّخَم»